



مسرحية..

من فصل واحد

المكافأة..

(المشهد الأول)

(يرفع الستار عن سجن ببغداد.. في عهد الخليفة المأمون.. نرى رجلاً مقيداً بالسلاسل، ويبدو عليه التعب والإرهاق.. يدخل المأمون ومعه العباس صاحب الشرطة وبعض الجنود)
المأمون: (لأحد الجنود) هل قدمتم له طعاماً؟
الجندي: أطلعناه ياسيدي.
المأمون: عباس.

العباس: لبيك يا أمير المؤمنين.

المأمون: (يشير للرجل المقيد) خذ هذا فاستوثق منه، واحتفظ به، وبكر به إليّ في الغد، وخذ حيطتك وحذرك.

العباس: أمر مولاي.. الجنود يقومون بحراسته، فلا يهينك أمره.

المأمون: لا.. أريدك أن تستوثق منه بنفسك، فهذا مجرم خطير.. هل سمعت؟

العباس: كما ترى ياسيدي.

(يخرج المأمون)

العباس: (للجنود) اسمعوا.. لا تبتيتوا خارج السجن الليلة.. تناوبوا حراسته حتى الصباح.

الجندي: لن نستطيع الهروب ياسيدي، فقواه خائراً.

العباس: نفذ ما سمعت دون كلام.

الجندي: أمرك ياسيدي.. ولكن.. يعني..

العباس: قلت تناوبوا حراسته.. اثنان بعدهما اثنان (بعد تفكير) اسمع، سأحمله معي إلى داري ليكون تحت نظري.

الجندي: ستحرسه بنفسك ياسيدي!

العباس: ألم تسمع ما قاله أمير المؤمنين.. هيا احمّله إلى داري.. هيا (الجنود يقودون الرجل وهو مكبل في قيوده ثم يخرجون.. يظلم المسرح تدريجاً.. ظلام).

(المشهد الثاني)

(حجرة في دار العباس صاحب الشرطة)

الرجل: (وما زال مقيداً) هل تسمح لي بماء؟

العباس: هل تشرب؟

الرجل: سأتوضأ.

العباس: انتظر (ينادي) ياهمام.. ياهمام (يدخل الجندي همام).

همام: لبيك ياسيدي.

العباس: هات طستاً وماء، حتى يتوضأ الرجل.

همام: (يخرج ثم يعود بعد لحظة بطست به ماء فيتوضأ الرجل من خلال قيوده في صعوبة).

العباس: سنتركك لتصلي.

الرجل: أشكرك.. لقد أديت ماعلي من صلاة، ولكن أحببت أن أتوضأ لأتخفف من همومي.. آسف إذا كنت قد سببت لكم إزعاجاً.

العباس: هذا حقك.. (لهمام) خذ الطست ياهمام.

همام: أمرك ياسيدي (يخرج بالطست).

العباس: هل أنت بغدادية؟

الرجل: لا.. دمشقي.

العباس: (في لهفة) أحقاً من دمشق؟

الرجل: نعم.

العباس: جزى الله دمشق وأهلها خيراً.. فمن أنت من أهلها؟

الرجل: عمن تسأل؟

العباس: هل تعرف علي الدمشقي؟

الرجل: من أين تعرف ذلك الرجل؟

العباس: وقعت لي معه قضية.

الرجل: ما كنت بالذي يخبرك عنه حتى تعرفني قضيتك معه.

العباس: ويحك.. قلت لك كانت لي معه قضية.

الرجل: لو أخبرتني بها.. لأخبرتكم عنه.

العباس: كنت مع بعض الولاة، بدمشق فيغى أهلها، وخرجوا علينا، حتى إن

الوالي تدلى في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه، أما أنا.. (يظلم

بقلم: علي محمد الغريب*

أشهر، وبعدما هدأت الفتنة عازمت على التوجه إلى بغداد فجهزني كأحسن ما يجهز المسافر، ثم انصرفت إلى بغداد، وأنا أتبع خبره لأفي بعهدي له وأكافئه، فانشغلت بأمر المؤمنين ولم أتفرغ، ولهذا أنا أسألك عنه.

الرجل: لقد أمك الله تعالى من الوفاء، ومكافأة الرجل على ما فعله ومجازاته على صنيعه ولا كلفة عليك.

العباس: كيف ذلك؟

الرجل: أنا ذلك الرجل، وإنما الضر الذي أنا فيه، هو الذي بدل حالتي وغير شكلتي.

العباس: (مندهشاً) أنت هو هو؟

الرجل: نعم.

العباس: (وما زال مندهشاً) يالله.. أعطني علامة أعرفك بها!

علي: أو تذكر ليلة أن أتيتك في السحر وقلت لك استعد فإن القافلة ستتحرك بعد قليل؟

العباس: أعطني علامة أخرى

علي: أو تذكر عندما جئت وأمرأتي ببجعة من الملابس وخفين وسيف، ومنطقة شددتها في وسطك؟

العباس: (بيكي من شدة الفرح والألم معاً) ياسبحان الله (ينهاه عليه تقبيلاً ثم يفك قيوده ويأخذه إلى داخل الدار لحظة ثم يعود معه وقد أهده ثياباً جديدة) أصدقني القول ياسيدي، مالم الذي صيرك إلى ما أرى؟

علي: (يتنهد في ألم) هاجت بدمشق فتنة كالتني كانت في أيامك، فنسبت إلي، وبعث أمير المؤمنين بجيوش فاصلحوا البلد، وأخذت أنا وضربت إلى أن أشرفت على الموت، وقيدت وبعث بي إلى أمير المؤمنين، وهو قاتلي لامحالة، فإن رأيت أن تجعل من مكافأتك لي أن ترسل من يحضر غلاماً لي خرج من خلفي وهو نازل عند أحد الوراقين، حتى ينصرف إلى أهلي بخبري، فإن أنت فعلت فقد جاوزت حد المكافأة، وقمت لي بوفاء عهدك.

العباس: يصنع الله خيراً (ينادي) ياهمام.

همام: (يدخل) ليبيك ياسيدي.

العباس: جهز الفرس الأبيض، ويغلن، واحملوا عليهما أربعة صناديق، واملاوها بالهدايا، ثم خذ الرجل ورافقه حتى يخرج من حدود المدينة.

علي: إن ذنبي عند أمير المؤمنين عظيم، وخطيبي جسيم، وإن أنت احتججت بأني هربت، بعث أمير المؤمنين في طلبي ثم قتلني وآذاك.

العباس: اتج بنفسك، ودعني أدبر أمري.

علي: والله ما أبرح بغداد حتى أعلم ما يكون من أمرك.

العباس: اسمع ياهمام، اذهب معي إلى حدود المدينة، فإن سلمت في غداة غد أعلمته، وإن أنا قتلت، فقد وقيت به بنفسي كما وقاني بنفسه، وأنشدك الله أن لا يذهب من ماله درهم، واجتهد في إخراجك من بغداد سالماً.

المشهد الثالث

(مجلس أمير المؤمنين.. يدخل العباس حاملاً كفته على يديه)

المسرح تدريجياً ثم ينتقل المشهد إلى دمشق آنئذ.. نرى علي الدمشقي جالساً أمام داره يقضي بعض شؤونه.. يدخل العباس مضطرباً، بادياً عليه الإرهاق والخوف).

العباس: أغثني أغاثك الله.

علي: ماذا هناك؟ لا روعك الله يارجل!!

العباس: (وهو يتلفت حوله) إنهم يبحثون عني.. يبحثون عني!!

علي: من هم؟

العباس: خبثي قبل أن يدركوني.

علي (يشير بيده إلى داره، وما زال مندهشاً) ادخل هنا ولا تخف (يرفع صوته منادياً) مكان الضيوف يا أم البراء.

(يدخل رجلان.. يبدو أنهما يبحثان عن العباس).

الأول: لم يبرح هذا الحي.. لكني لأعرف كيف اختفى؟!

الثاني: إنه رأيك الذي أفسد علينا القبض عليه (لعلي) ألم يمر عليك رجل من هنا؟

علي: لا لم يمر علي أحد.

الأول: بل مر من هنا.

الثاني: هيا.. لاتضع الوقت علينا.

الأول: قلت لك إنه بهذا الحي، وإني لأقسم إنه عند هذا الرجل (يشير لعلي).

علي: وماشاني به، فتشا داري إذا شئتما!!

الأول: أجل فلنفتشها (لصاحبه) تعال من خلفي.

الثاني: أف.. يالك من عنيد.

الأول: تعال ولا تتكلم (يدخلان الدار.. نسمع صوت امرأة الدمشقي من الداخل) المرأة: قبحكم الله.. أو تدخلان علي الدار دون مراعاة حرمتها؟! إليكما عني وإلا شكوتكما لأمر المؤمنين. (يخرج الرجلان).

الأول: (لعلي في إصرار) ومع ذلك فأنا مصر أنه عندك.

الثاني: (يتقدم صاحبه وهو يجري) هيا.. هيا لاتفوت علينا الفرصة (يخرجان).

(عوداً إلى دار العباس.. يبدو العباس وهو يتكلم وعيناه شاخصتان كأنه يرى ما يرويه).

العباس: خرج الرجلان وهما يتميزان غيظاً من الدمشقي وامراته التي نهرتهم، وراحا يجوبان الدروب بحثاً عني (يتوقف ثم ينظر للدمشقي) يبدو أنك تعبت من كثرة الكلام.

الرجل: لا.. أأكمل أكمّل.

العباس: إن كان ذلك يزعجك فليس لي عليك سلطان، إنما حقي هو أن أتخفظ عليك فقط.

الرجل: أنا الذي أحب أن أسمع، أكمّل فلعلك تهون علي ما أنا فيه.. أكمّل أرجوك.

العباس: أين توقفتما؟

الرجل: عندما خرج الرجلان وهما يتميزان غيظاً من الدمشقي وامراته.

العباس: أه.. بعدما خرج الرجلان دخل إلي صاحب الدار، ثم أمنتني قائلاً: لاتخف، لقد صرف الله عنك شرهم، وما زال يحسن إلي، وأفرد لي مكاناً في داره، ولم يسألني عن اسمي، وما كان ينادي بي إلا بالكنية، وذلك لمدة أربعة

ياطر الشعر لاتعبأ بأهاتي
فالجرح جرحي والمأساة مأساتي
ياطر الشعر مزق نبض أغنية
أعددتها للمنى يوم انتصاراتي
وحطم الناي فالألحان دامية
مزجتها بالجوى القاسي وآناتي
وانظم من الحزن والأشجان ملحمة
جمعت فيها تراتيل الكآبات
ألم تزل شادياً للحب في زمن
لا يدرك الحب إلا في المعاناة
ألم تزل داعياً للحق في أمم
العدل في شرعها أصل السخافات
دعوت هذا الورى الغافين في سنة
فلم يلبوك إلا بالهتافات
فالناس يبدون في الدنيا كأنهم
مضيعون بلا ماض ولآت
لا تنتظر شاعراً ياتي فينشدنا
قصيدة عن رؤى حلم مضيئات
هذا فمي كموه، أحرقوا لغتي
ودمروا مزهري الشادي وآياتي
ها أنت ذا قد تكأت الجرح فاشتعلت
حرائق الدم في شريان أبياتي
آليت إما يكون الشعر لي وهجاً
مقدساً يرتوي نار الحميات
أو لا يكون فلن أرضى به نغمأ
مرقها لا يرى سخطي ولوعاتي
هذا الزمان، زمان الزور يسحقنا
سحق العبيد بأقدام السیادات

العباس: السلام عليكم ياأمير المؤمنين.
المأمون: (مندهشاً) وعليكم السلام.. ماهذا الذي بين يديك.. ثم أين الرجل
الذي استودعتك إياه أمس؟
العباس: لا يتكلم.
المأمون: ويحك.. أين الرجل؟
العباس: ياأمير المؤمنين أرجو أن تسمع مني.
المأمون: لله علي عهد، لئن ذكرت أنه هرب لأضرب عنقه.
العباس: لا والله ماهرب ياأمير المؤمنين، ولكن اسمع حديثي ثم افعل ما تريد
أن تفعله في أمري.
المأمون: قل
العباس: ياأمير المؤمنين.. هل تذكر الفتنة التي، كنت سأروح ضحيتها في
دمشق من قبل سنوات مضت؟
المأمون: نعم أذكرها جيداً.
العباس: وهل تذكر الرجل الذي حدثك أنه أنقذني؟
المأمون: نعم أذكره.
العباس: هو نفسه الرجل الذي استودعتني إياه أمس، ولهذا الرجل دين في
عنقي، وأردت أن أكافئه على ما فعله معي، فقلت أنا وسيدي أمير المؤمنين بين
أمرين، إما أن يصفح عني فأكون، قد وقيت وكافأت، وإما أن يقتلني فأقيه
بنفسي.. وقد تحنطت، وما هو ذا كفني ياأمير المؤمنين، فالأمر لك.
المأمون: ولك.. لأجزاك الله عن نفسك خيراً، إنه فعل معك ما فعل من غير
معرفة، وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لاغيره؟.. هلا عرفتني خبره لتكافئه
عنه، ولا تقصر في وفائك له.
العباس: ياأمير المؤمنين، إنه ها هنا قريب وقد أقسم ألا يبرح حتى يطمنن إلى
سلامتي، فإن احتجت إلى حضوره حضر.
المأمون: وهذه منه أعظم من الأولى.. أذهب إليه الآن قطيب نفسه وسكن روعه
وانتني به حتى أتولى مكافأته.
العباس: (لايعرف ماذا يفعل من شدة الفرح، فيترك كفنه على الأرض
وينطلق.. لحظة ثم يعود بعلي الدمشقي).
المأمون: (لعلي) والله إنك لمن خير العباد، وقد رأيت أن استعملك على دمشق.
علي: حفظ الله أمير المؤمنين.. أرجو أن تغفيني.
المأمون: نريد أن نؤفك ونكافئك.
علي: عفوك عني هو أعظم مكافأة.
المأمون: (للعباس) جهزوا عشرة أفراس بسرورها ولجمها، وعشرة أبقال
بآلاتها، وعشرة آلاف دينار، وعشرة ممالك بدوابهم، ليرافقوا الدمشقي حتى
يصل إلى دمشق آمناً مطمئناً بإذن الله.

«مغفلة»

* أديب مصري، كاتب قصة ومسرحية، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.